غزة: سكوت دولي وخذلان عربي... مقاومة وانتصار

أ. د. محسن صالح*
أكاديمي وباحث من لبنان

* تدريسي في الجامعة اللبنانية ـ بيروت

مقدمة

مثلت فلسطين وقضيتها جوهر الصراع بين قوى التحرر والاستقلال في المنطقة العربية والإسلامية من جهة، وقوى الهيمنة والاستتباع الغربي ومخلفاته من الاحتلال الصهيوني من جهة أخرى، على مدى قرن من الزمن، فمنذ أن سقطت السلطنة العثمانية ووضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها لصالح كل من فرنسا وبريطانيا وشعوب المنطقة، تئن تحت الضربات الغربية المتتالية سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً. من سايكس بيكو (1916) إلى وعد بلفور (1917)، والتسهيلات البريطانية والغربية لجلب المستوطنين الصهاينة إلى أرض فلسطين، لاغتصابها وتشريد أهلها باستعمال كافة الأساليب العسكرية والمؤامرات السياسية الدولية، حتى تم طرد وتشريد الشعب الفلسطيني من معظم أرضه ووطنه، وأعلنوا واعترفوا في ما يسمى (هيئة الأمم المتحدة).

هذه الهيئة التي أسسوها على صورة الغرب تنفذ تعليماته وتصدر قرارات بـ (اسمه)، أصبحت التسمية (إسرائيل) بدل فلسطين، ثار الشعب الفلسطيني وقاوم موجات الاستيطان الصهيوني في محطات تاريخية متعددة منذ عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، وصولاً إلى المعارك النهائية في عام 1947، وسط مساعدة دولية للظالم والمحتل الصهيوني، وتآمر عربي أو أقله خذلان عربي رسمي، لقد عَرفَ الغرب المستعمر كيف يتعامل مع العقل العربي ذي البنية العثمانية السلطانية، فأقام طبقة

عَرفَ الغرب المستعمر كيف يتعامل مع العقل العربي ذي البنية العثمانية السلطانية، فأقام طبقة سياسية تنصاع لأوامره وتنفذ ما يطلبه

سياسية تنصاع لأوامره وتنفذ ما يطلبه، حتى لو كان مخالفاً لأبسط القواعد والحقوق السياسية لشعوب وأوطان المنطقة العربية والإسلامية.

وهكذا نشأت أنظمة سياسية على صورة المحتل والمهيمن واستلبت الشعوب حق الوجود الحر والمستقل، خذل الشعب الفلسطيني واستبيحت مقدرات وثقافات الشعوب العربية، فما عاد لديها قوة الإرادة التي تعد الشرط الأول للمقاومة والتحرير أو الحرية.

أولاً: الحرب على غزة والنتائج المعاكسة

شنت حكومة العدو الصهيوني الحرب على غزة آملاً في إخضاع مقاومتها، ويكون لها ما تريد من استيطان ومصادرة لما تبقى من وجود فلسطيني في الضفة الغربية، وفرض استسلام تام على حكومة محمود عباس، التي سلمت كل أوراقها للولايات المتحدة وبعض الدول العربية، التي تريد أن تتخلص من القضية الفلسطينية، وبعد المصالحة الفلسطينية مع حماس في بداية هذا العام 2014، والتي لم ترق لحكومة نتنياهو اليمينية المتطرفة، هاجمت حكومة العدو الصهيوني هذه المصالحة ودعت محمود عباس، رئيس السلطة الفلسطينية، إلى الخروج منها وشن حرب على المقاومة.

أتت حادثة اختطاف الصهاينة الثلاثة في أحدى مناطق الضفة، لتعطي حكومة نتنياهو الذريعة لزيادة الضغوط على السلطة الفلسطينية، من أجل إطلاق حرب فلسطينية ـ فلسطينية، وعندما لم يستجب محمود عباس لهذا الطلب قامت قيامة نتنياهو، مع أن عباس استنكر حادثة اختطاف ومن ثم قتل المستوطنين الصهاينة، وأعلنت حماس أنها لم تقم بهذه العملية، كذلك لم يعلن أي فصيل فلسطيني مقاوم مسؤوليته عن الحادثة، قال نتنياهو متوعداً: (**إننا في أوج الجهود المتواصلة والمركزة قبل كل شيء لإعادة الأبناء إلى بيوتهم**) (المختطفين قبل اكتشاف موتهم).

وأردف نتنياهو: (**توجد لدينا أدلة قاطعة بأن الحديث يدور عن حماس، ونحن ننقل المعلومات إلى دول العالم**)، وعند نشرها ستضع إسرائيل تصريحات أبو مازن تحت الاختبار (خاصة) جديته في معاقبة الخاطفين، ليس بالأقوال، إنما بمدى استعداده لتفكيك حكومة الوحدة مع حماس، التي تدعو إلى القضاء على إسرائيل.

في مداخلة في الاجتماع الاسبوعي لحكومة العدو في 22 ـ 6 ـ 2014[1]، وقد تبين لاحقاً أن هؤلاء الصهاينة قتلوا في ظروف غامضة، ورجحت مصادر أن يكونوا قتلوا لأسباب تجارية، مع هذا قام مستوطنون صهاينة بأختطاف طفل فلسطيني يدعى محمد أبو خضير وقتلوه بطريقة بشعة، مثلوا بجسده وأحرقوه وهو حي، نتيجة لإجباره على شرب البنزين ورشه على جسده ثم اشعلوا النار فيه.

(1) الحياة اللندنية، 23 ـ 6 ـ 2014.

فور شيوع الخبر هب الفلسطينيون في الضفة الغربية، وفي فلسطين المحتلة (1948) والقدس، وجرت مواجهات مع قوات الاحتلال الصهيوني، وقام الطيران الصهيوني بغارات متواصلة على قطاع غزة. وقال وزير شؤون القدس في الحكومة الفلسطينية عدنان الحسيني لوكالة (فرانس برس): (لوضع صعب جداً، والحادثة ليست عادية خاصة أن عملية القتل تخللها عبث وتشويه لطفل صغير)، وقال: (طريقة القتل هذه أول مرة أسمع عنها، بأن يتم حرقه من الداخل والخارج، وهو شيء أعتقد أن المستوطنين أرادوا أن يتميزوا به)[2]، وقد تواصلت المواجهات بعد ذلك في جميع المدن الفلسطينية من قلنديا إلى القدس إلى الناصرة إلى الطيبة في الداخل الفلسطيني ولم تتوقف.

(2) المستقبل اللبنانية، 7 ـ 7 ـ 2014.

هذه المواجهات الأولى أسفرت عن اعتقال أكثر من (600) فلسطيني واستشهاد العشرات وجرح المئات، ومنذ اندلاع هذه الموجهات، قبل المعركة العسكرية التي استمرت حوالي خمسين يوماً، دعا القيادي في حركة الجهاد الإسلامي خالد البطش الفلسطينيين إلى الاستعداد لمواجهة الجولة المقبلة مع العدو الصهيوني، والذي قد يأخذ أشكالاً تصعيدية خطيرة.

وقال البطش: (تهديدات الاحتلال لا تخيفنا، ولن تغير قناعاتنا، وفي كل الأحوال نحن ثابتون، صامدون، وسنواجه أي تصعيد صهيوني بما نملك من أدوات مقاومة متواضعة في وجه ترسانة الكيان، ونحن في ذلك نمتلك حق الرد على جرائمه)[3]، وبدوره قال عضو المكتب السياسي في حركة حماس خليل الحية أثناء جنازة عدد من شهداء كتائب القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، قال: (إن الحركة ستواصل حفر الأنفاق وصنع الصواريخ وسنعبر البحار حتى ننتصر بإذن الله لشهدائنا)، وأضاف: (لن تخيفنا تهديدات العدو... وهؤلاء الشهداء هم شهداء التجهيز والإعداد، فلا يمكن

(3) السفير اللبنانية، 1 ـ 7 ـ 2014.

أن تحدث مواجهة مع العدو من دون هذا الإعداد)[4]، وكان الصهاينة قد هددوا باجتثاث حركة حماس في الضفة والقطاع.

(4) الحياة، 23 ـ 6 ـ 2014.

كانت قيادات المقاومة في غزة تعلم مسبقاً، أن تصريحات نتنياهو حول المصالحة الفلسطينية وحول المستوطنين واختبار السلطة الفلسطينية، تشير إلى تحضير صهيوني مسبق لشن عدوان على غزة. هدفان رئيسيان وراء هذا العدوان:

1 ـ إثبات قوة الردع الصهيونية.

2 ـ إنهاء الجدل في الداخل الصهيوني حول القدرات القيادية لنتنياهو، خاصة بعد أن تعالت الأصوات داخل حكومته بعدم أهليته لقيادة الكيان الغاصب.

3 ـ هذا إضافة إلى قضايا متعلقة بالعلاقة الأميركية ـ الصهيونية، التي تشهد اضطرابا لم يسبق له مثيل في تاريخ العلاقات الصهيو ـ أوروبية والأميركية.

على الرغم من تصريحات الرئيس الأميركي بالتزام أمن الكيان الغاصب، وإدانته الفظة للمقاومة الفلسطينية ووصمها بالإرهاب، وقد أراد نتنياهو أن يثبت أنه قادر على ضرب القوى المقاومة في فلسطين وإجبار محمود عباس على توقيع ما يريده، خاصة بعد رفضه مبادرات تقدم بها وزير الخارجية الأميركي جون كيري، أو حتى القبول بالمبادرة العربية، أمر آخر أراد أن يستغله نتنياهو وهو العلاقة السلبية بين بعض الدول العربية (خاصة مصر والسعودية)، من جهة وحركة حماس من جهة ثانية، لارتباطها بحركة الإخوان المسلمين، المدعومة من قطر وتركيا.

بالنسبة للعامل الثاني لشن العدوان الصهيوني، حول شخصية نتنياهو، كتبت صحيفة هآرتس الصهيونية: (**نتنياهو رئيس وزراء جبان ويخشى أي عمل عسكري ضد الفلسطينيين**)، وقال الكاتب يوسي فيرطر: (**إن رئيس الوزراء نتنياهو يخشى التورط في أي عمل عسكري ضد غزة... كما يخشى صور الجنود القتلى في الصحف والجنازات العسكرية والاحتجاجات الشعبية**)، وقال: (**إن الحملة العسكرية التي يشنها نتنياهو في الضفة (وعلى القطاع) لليوم الثامن على التوالي يقودها بحذر ومن دون الانجرار إلى المنحدرات الزلقة، وأن الوزراء والسياسيين الذين يلتقونه يصفونه على أنه «غارق في**

الأدرينالين» ويكثر من الاستشارات والاستماع والسؤال، وهو لا يعرف ماذا يفعل)[5]، وكتبت مقالات في الصحف العبرية تتهم الحكومة الصهيونية بالإخفاق في التعامل مع المقاومة وخاصة لجهة خطف الصهاينة الثلاثة، أهمها ما عنونه الكاتب الصهيوني المعروف أمير أورن في صحيفة هآرتس[6] حول (كارثة الإخفاق الأمني)، بعد فقدان الصهاينة الثلاثة.

(5) البناء اللبنانية، 23 ـ 6 ـ 2014

(6) صحيفة هآرتس في 20 ـ 6 ـ 2014.

وقد كتب تسفي بارئيل مفصحاً عن خطة نتنياهو من خلال تصريحاته وتحضيراته العسكرية والتهديدات، يقول بارئيل في هآرتس: (إن مصلحة نتنياهو في الحملة على حماس واضحة وهي القضاء على المصالحة الفلسطينية، وإعادة محمود عباس إلى ما كان عليه رئيساً لنصف الفلسطينيين، والقضاء على إمكان تمثيله للفلسطينيين أمام المؤسسات الدولية أو المطالبة بمنح فلسطين عضوية دائمة في الأمم المتحدة، يمثل تقويض المصالحة في نظر نتنياهو هدفا بحد ذاته مع قضية المخطوفين أو من دونهم)[7].

(7) النهار اللبنانية، 23 ـ 6 ـ 2014.

وهكذا، فقد عرف رئيس السلطة الفلسطينية غايات وأهداف نتنياهو المكشوفة وهي إضعاف دور السلطة في اكتساب شرعية دولية من خلال الحصول على إجماع فلسطيني، بالرغم من الأخطاء القاتلة التي وقعت بها السلطة الفلسطينية، بذهابها إلى مفاوضات معروفة النتائج مع العدو الصهيوني، استفاقت مؤخراً على أن الصهاينة كلما اعطيتهم إذعان واستسلام يريدون المزيد من سحق الفلسطينيين وحقوقهم.

أمام هذا الواقع بدأ مسرح المعركة جاهزاً، والتحدي الوجودي بلغ ذروته، هي معركة وجود بالنسبة للمقاومة الفلسطينية، ومعركة (الردع المستدام) في كل فلسطين والمنطقة العربية، بالنسبة للحكومة الصهيونية.

انفجرت المعركة ليل السابع من تموز/ يوليو، 2014، العدو الصهيوني الذي قصف غزة بقوة، اجتمعت حكومته المصغرة لبحث (الوضع المتأزم على الحدود مع قطاع غزة)، بالرغم من الخلافات العاصفة داخل الحكومة الصهيونية حول (سبل المواجهة)، وقيام افيغدور ليبرمان، وزير الخارجية الصهيوني في ائتلاف الليكود اليميني المتطرف، بالإعلان عن فك تحالفه مع الليكود، إلا أن المجلس المصغر أوصى بعدم توسيع العمليات، وفي الوقت نفسه قرر الرد على قصف الصواريخ الفلسطينية التي أتت رداً على اعتداءاته،

وقرر تجنيد 1500 من عناصر قوات الاحتياط غير المقاتلة، وفوض الجيش القيام بتوسيع العمليات وفق المقتضيات.

ارتبك العدو الصهيوني عندما وصل القصف الصاروخي للمقاومة إلى تل أبيب والقدس

بدورها أمطرت المقاومة الفلسطينية المستعمرات الصهيونية بالصواريخ على مدى (40) كلم، هذه الصواريخ طالت مستوطنات من بئر السبع إلى بيت شيمش، وبلغ عددها سبعون صاروخاً، وارتبك العدو الصهيوني عندما وصل القصف الصاروخي للمقاومة إلى تل أبيب والقدس، فتحت الملاجئ وتجهزت وحدات الدفاع المدني.

وأظهرت المقاومة سرعة وغزارة في الرد على العدوان الصهيوني، تمثل في استيعاب الغارات والرد عليها بسرعة عالية وعلى مختلف الأماكن المحتلة، إضافة إلى ضياع العدو من خلال عدم قدرته على رصد الأماكن التي تنطلق منها صواريخ المقاومة، مع عدم القدرة الأمنية على معرفة أماكن قيادات المقاومة، التي كانت في الاعتداءات السابقة تقوم بحملة اغتيالات على القادة قبل وأثناء العدوان. فقد الكيان الصهيوني وجيشه، القدرة الرصدية الاستخباراتية فضاع، وبدا قصفه على الأماكن المدنية والمدارس التابعة للأنروا كاقتصاص الجاهل المتوحش بالفنون العسكرية، فكشف عن فشل كان قد جربه فقط مع المقاومة الإسلامية في لبنان.

وبرز عنصر فاعل هام ساهم في عماء العدو عن اكتشاف أو رصد المقاومين، الأنفاق التي زعزعت العقل الاستراتيجي العسكري الصهيوني ونقلت معركته وأهدافه إلى هذه الأنفاق التي ظهرت كصمام أمان للمقاومين وحركتهم التي لا يمكن رصدها. منها كانت تنطلق الصواريخ ومنها كانت تتم حركة المجاهدين، ومنها ما وصل إلى قلب المستعمرات الصهيونية وجعلت المستوطنين يعيشون حالة رعب وكوابيس ما عاشوها خلال حياتهم في المستوطنات، وربما لم تخطر على بالهم وبال قيادتهم[8]. بيد أن استراتيجية الأنفاق المعقدة دقت مسماراً كبيراً في نعش «الردع والتفوق» الصهيونيين على المدى الطويل، والتي لن يستطيع العدو الصهيوني تجاوزها على الإطلاق في مسار الصراع المستقبلي مع فصائل المقاومة من لبنان إلى فلسطين، وربما أماكن عربية أخرى.

(8) للمزيد ينظر جريدة السفير اللبنانية في 8 ـ 7 ـ 2014: المقاومة تمطر المستوطنات بعشرات الصواريخ؛ «إسرائيل: مزايدات انتخابية..».

أن استراتيجية الأنفاق المعقدة دقت مسماراً كبيراً في نعش «الردع والتفوق» الصهيونيين على المدى الطويل

تدحرجت العملية وتطورت، على عكس حسابات العدو التي

كانت تقوم على فكرة مفادها: أنه يستطيع حسم المعركة بوقت قصير. حيث يستطيع اسكات الصواريخ وابطال مفعولها عبر القبة الحديدية أو تدميرها في مرابضها، وأنه بما لديه من قوة استخبارية يستطيع رصد وضرب وقتل المقاومين بأبسط السبل، عبر الطائرات الحربية، أو التي بدون طيار، خابت ظنون الصهاينة واستمرت المعركة دون أن تصرخ المقاومة أو تستسلم حاضنتها الشعبية، أو تلهث وراء وقف لإطلاق النار أو هدنة.

إعلان وقف إطلاق النار في 26 ـ 8 ـ 2014 الساعة السابعة مساء بتوقيت القدس المحتلة، بعدما يزيد عن خمسين يوماً من القتال والمقاومة أعلن من القاهرة قبول الأطراف بهدنة دائمة مستندة إلى المبادرة المصرية، وقد أعلنها رئيس السلطة الفلسطينية، طبعاً بالتفاهم مع الفصائل المقاومة. هذه الهدنة الدائمة بالشروط التي وضعتها المقاومة، بعد أن أخفق العدو الصهيوني في تحقيق أهدافه في القضاء على صوت وصاروخ المقاومة، كانت نتيجة للصمود الاسطوري للمقاومة، وسيكون لها تداعيات استراتيجية وسوسيولوجية وسيكولوجية على مستقبل الصراع مع العدو الصهيوني.

أما على صعيد ما أصاب الكيان الغاصب فأقل ما يقال فيه أنه خيبة أمل كبرى من حكومة لطالما تبجحت بقوتها، وقدرتها على ضرب أهل غزة واغتيال وسجن شباب فلسطين الأحرار، الصورة في الكيان معاكسة لما رأيناه في غزة. مستوطنون مرعوبون خسروا القدرة على التفكير بوعى، لا بل طار الوعي والاطمئنان، الذي اراد نتنياهو أن يوحي لهم بأنه قادر على إحضاره لهم من خلال ما سماه سحق حماس، ويقصد المقاومة في فلسطين المجسدة في غزة البطلة، رؤساء بلديات مستوطنين صهاينة في الجنوب الفلسطيني القريبة من غزة، اعتبروا أن وقف إطلاق النار خضوعاً للإرهاب، ودعوا السكان في بلداتهم (مستوطناتهم) إلى عدم العودة إليها.

(80%) من الصهاينة غاضبون على أداء رئيس حكومتهم بنيامين نتنياهو، (90%) غير راضين عن الاتفاق، هذا الاتفاق الذي يعيد اتفاق وقف عدوان 2012، يعده الصهاينة أنه لم يحقق ما يريدونه من إخضاع غزة وحصارها وتجريدها من عناصر القوة، على العكس، الاتفاق يدعو إلى فك الحصار وتسهيل وصول المساعدات وإعادة إعمار غزة، والمهم أكثر أنه يمنع الاغتيالات والاعتداء على المزارعين والصيادين الفلسطينيين، ولا يأتي على ذكر سلاح المقاومة التي حاولت حكومة العدو أن توحي بأنها تريد تجريد

المقاومة منه، بعض الصهاينة يعتبرون أن الاتفاق هزيمة كبرى، ربما يعتقد بعض الصهاينة أن الاتفاق على المبادرة المصرية سيؤدي إلى وضع ضغوط على حركة حماس، نتيجة للعلاقة السلبية المؤقتة بين الطرفين.

كيف ستبدوا إسرائيل التي تهدد إيران، لو أنها اضطرت لخوض حرب على جبهتي قطاع غزة والجنوب اللبناني في الوقت نفسه

وزراء صهاينة يعارضون الاتفاق: أفيغدور ليبرمان وزير الخارجية، نفتالي بينت وزير الاقتصاد، وزير الأمن الداخلي اسحق أهرونوفيتش، وجلعاد أردان، ويقولون أنه كان بالإمكان القبول بهذا الاتفاق من دون هذه الحرب لمدة خمسين يوماً، جرى تداول سؤال بين الإسرائيليين: كيف ستبدو إسرائيل التي تهدد إيران، لو أنها اضطرت لخوض حرب على جبهتي قطاع غزة والجنوب اللبناني في الوقت نفسه[9]، العبارات التي تسمع من المستوطنين الصهاينة أن هذه الحرب غيرت (أسلوب الحياة) الذي لديهم وأصيبوا بـ(خيبة أمل)، وأن هذه الحكومة (حكومة فاشلة)، ودعا بعضهم، وخاصة من المستوطنين الذين لا يريدون العودة إلى منازلهم في المستوطنات المحاذية لقطاع، الحكومة لكي تعقد (اجتماعا للوزراء)، في هذه المنطقة كي يصدقوا رئيس الحكومة والوزراء، ووصموا الحكومة ووزير الحرب ورئيس الأركان بـ(الجبناء).

(9) للمزيد ينظر في الصحف اللبنانية: السفير، الأخبار، الحياة، النهار بتاريخ 27 ـ 8 ـ 2014.

بينما الشعب الفلسطيني خرج إلى الشارع مبتهجاً لحظة الإعلان عن الاتفاق، يتفقدون منازلهم ويتحدون العدو الصهيوني، بعض قادة المقاومة الفلسطينية (رمضان عبدالله شلح) اعتبر أن هذه المعركة أسست لمرحلة جديدة من الصراع مع العدو، وهذه الحرب الطويلة ستؤدي إلى تحرير القدس الشريف وفلسطين بكاملها[10]، وكذلك أشار القيادي في حماس أبو زهري من غزة عشية إعلان الاتفاق عن وقف إطلاق النار، كذلك قال اسماعيل هنية في اليوم التالي للاتفاق في احتفال لحركة حماس في غزة، مشيراً إلى أن هذا الانتصار هو ثمرة سنين طويلة من العمل من أجل التحرير، الواضح أن الشعور الفلسطيني بعد هذه المعركة مختلف جذرياً من الناحية المعنوية عن السابق، وهذا ما تحدثت به شوارع فلسطين وحاناتها وشعرائها والمقاومين.

(10) تصريح في بيروت للأمين العام للجهاد الإسلامي، رمضان عبدالله شلح، بتاريخ 26 ـ 8 ـ 2014.

ثانياً: نص الاتفاق

تمت الإشارة إلى أن الاتفاق أعلن من القاهرة ببيان صادر عن وزارة الخارجية المصرية بتاريخ 26 ـ 8 ـ 2014، قال البيان المقتضب: حفاضاً

على أرواح الأبرياء وحقناً للدماء واستناداً إلى المبادرة المصرية 2014 وتفاهمات القاهرة لعام 2012، دعت مصر الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني إلى وقف إطلاق النار الشامل والمتبادل بالتزامن مع فتح المعابر بين قطاع غزة وإسرائيل بما يحقق سرعة إدخال المساعدات الإنسانية والإغاثية ومستلزمات إعادة الإعمار والصيد البحري انطلاقاً من 6 أميال بحري، واستمرار المفاوضات غير المباشرة بين الطرفين بشأن الموضوعات الأخرى خلال شهر من بدء تثبيت وقف إطلاق النار.

وفي ضوء قبول الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بما ورد بالدعوة المصرية فقد تحددت الساعة 1900 (بتوقيت القاهرة يوم 26 ـ 8 ـ 2014 لبدء سريان وقف إطلاق النار).

وأكدت مصر مجدداً التزامها الثابت بدورها الذي تمليه حقائق التاريخ والجغرافيا وبمسؤولياتها الوطنية والعربية والإقليمية، وبما ينبثق عن ذلك من العمل على تحقيق تطلعات الشعب الفلسطيني ودعم قيادته، والحرص على تعزيز السلام والاستقرار في المنطقة من خلال إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، لتحقيق السلام والأمن في المنطقة وبما يسهم في ازدهار ورخاء كافة دولها وشعوبها، وتثمن مصر الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة الأميركية والدور الذي تضطلع به في هذا السياق، الصحف ووسائل الإعلام العربية والعالمية.

ثالثاً: ردود الفعل على الاتفاق

أشرنا إلى الفرح الفلسطيني العارم بالانتصار وعلى كافة المستويات من السلطة الفلسطينية إلى رجال ونساء وأطفال الشارع الفلسطيني، فقد أعلن محمود عباس، رئيس السلطة الفلسطينية، التوصل إلى اتفاق (دائم وشامل) حول وقف إطلاق النار مع إسرائيل في قطاع غزة، وشكر عباس كل من ساهم في إنجاز هذا الاتفاق منوها بدور مصر والوزير الأميركي جون كيري، ماراً على دور قطر المسهل للاتفاق. ربما أهم ما قاله عباس في إعلانه هو ما يتعلق بمستقبل المفاوضات، وبلغة سياسية جديدة عليه من حيث صرامتها وتحديها للكيان الغاصب.

إن الفلسطينيين لن يقبلوا بعد اليوم الدخول في مفاوضات عائمة مع إسرائيل

قال عباس: (إن الفلسطينيين لن يقبلوا بعد اليوم الدخول في

مفاوضات عائمة مع إسرائيل، ستطالب القيادة الفلسطينية منذ الآن، بأن يتم وضع جدول زمني محدد لإقرار حل الدولتين بشكل ملزم)، وأضاف عباس: (نريد دولة فلسطينية مستقلة على حدود عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، وأن نبدأ بترسيم الحدود وفق جدول زمني محدود لإنهاء الاحتلال، لن نقبل حالة اللاحرب واللاسلم، نريد سقفاً زمنياً واضحاً ومحدداً بإقرار حل الدولتين)[11].

فلسطين تصنع نفسها بلغة ثورية صارمة

(11) رويترز، 27 ـ 8 ـ 2014.

هذه لغة جديدة، يشتم فنها لغة انتصار المقاومة، فيها عبق فلسطين والقدس، لم نعهدها لا في السلطة الفلسطينية ولا في الخطاب الرسمي العربي التاريخي، هذه فلسطين تصنع نفسها بلغة ثورية صارمة. هل يتحملها العدو الصهيوني؟ وهو في هذا المأزق الكبير، كما أشارت بعض الصحف العبرية التي علقت على الاتفاق.

جاء العنوان الرئيس لجريدة يديعوت أحرونوت: إخفاق القيادة السياسية والعسكرية جرَ «إسرائيل» لحرب استنزاف وأفرغ محيط غزة من المستوطنين، وعلقت الصحيفة بسخرية على بعض تصريحات يعلون وعدم قدرة نتنياهو في التعامل مع الأزمة، كذلك لم توفر رئيس الأركان بيني غانتس. تقول الصحيفة: (إن المشاعر تجاه وزير الأمن موشيه يعلون، الذي يقود حرباً بهذا القدر من الأهمية لأول مرة، هي مشاعر صعبة، وبدأت هذه المشاعر الصعبة بقوله إن التعامل مع الأنفاق في غزة سيستغرق يومين أو ثلاثة، لكن ذلك استمر ثلاثة أسابيع)، كذلك انتقدت هرب يعلون من مستعمرة ناحال عوز القريبة من القطاع، كذلك انتقدت هؤلاء الثلاثة على إدارتهم للمعركة، الولايات المتحدة وعلى لسان متحدثة باسم الخارجية الأميركية جين ساكي، رحبت بوقف إطلاق النار ودعت الأطراف إلى الالتزام به. وأردفت ساكي: (يعد هذه فرصة وليس يقيناً هناك طريق طويل أمامنا...)[12].

(12) اللواء اللبنانية، 27 ـ 8 ـ 2014.

طهران هنأت الشعب الفلسطيني بالانتصار، وأكدت وزارة الخارجية الإيرانية ورئيس مجلس الشورى الإيراني على أهمية مساندة الشعب الفلسطيني، واعتبرت الجمهورية أن خيار المقاومة أثبت صحته في ردع العدوان وصولاً إلى تحرير القدس. وحيَت عبر نائب قائد الحرس الثوري رجال المقاومة الذين دافعوا بقوة عن حقوق الشعب الفلسطيني في المقاومة لأسترداد

إخفاق القيادة السياسية والعسكرية جرَ "إسرائيل" لحرب استنزاف وأفرغ محيط غزة من المستوطنين

حقوقه السليبة، كذلك أعلن عن استمرار مساعدة المقاومة الفلسطينية بمختلف وسائل الدعم.

من طرفه هنأ حزب الله في لبنان وبارك للشعب الفلسطيني انتصاره على العدو الصهيوني، وأصدر بياناً يعبر عن غبطته بهذا الانتصار البطولي للمقاومة الفلسطينية، وقال بيان حزب الله: (نتوجه بأسمى مشاعر التهنئة للشعب الفلسطيني الشجاع وفصائل المقاومة الباسلة ولعوائل الشهداء والأسرى، بالنصر الكبير الذي حققه من خلال فرض وقف إطلاق النار، وإلزام العدو الصهيوني بالسير في تحقيق المطالب التي قدمها قادة المقاومة، وإرادتها وصمودها وثباتها، وهو ثمن للصبر الكبير على التضحيات التي قدمتها الجماهير الفلسطينية، خلال الأيام العصيبة للعدوان الصهيوني)، أضاف بيان حزب الله: (إن حزب الله يرى في ما تحقق انتصاراً كبيراً للشعب الفلسطيني، في إطار تحقيق جزء من مطالبه الأساسية والجوهرية، التي لولا المقاومة ما كانت لتتحقق، ويؤكد أهمية هذا الإنجاز التاريخي في مسيرة الصراع مع العدو الصهيوني، حيث يشكل مقدمة لتحقيق المزيد من الانتصارات الكبرى والمهمة).

رابعاً: مواقف عربية ودولية من العدوان على قطاع غزة

توزعت المواقف من العدوان على غزة ولم تخرج عن السياق السياسي العام للقوى العالمية والعربية، الولايات المتحدة ساندت العدو الصهيوني منذ البداية وتحدث أوباما عن (حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها)، حكومات بريطانيا وفرنسا وبعض الدول الأوروبية، خاصة الخاضعة للوبي الصهيوني، حذت حذو الولايات المتحدة في الوقوف إلى جانب المعتدي الصهيونيين الدول العربية الغارقة في أزماتها الداخلية الفتاكة انقسمت بين مؤيد لحق الفلسطينيين بالدفاع عن أنفسهم وساكت عما يحصل في غزة، محور المقاومة والممانعة من طهران إلى لبنان والعراق وسوريا، أعلنت حق المقاومة في الدفاع عن نفسها وأبدت كل مظاهر الدعم السياسي والإعلامي والمادي، مصداقا لهذا الدعم اتصل الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصرالله بكل من خالد مشعل، رئيس الكتب السياسي لحركة حماس، والأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الدكتور رمضان

أن انتصار المقاومة في فلسطين هو انتصار للمقاومة في لبنان وخسارتها خسارة للمقاومة في لبنان

عبدالله شلح، مؤيداً ومسانداً المقاومة في فلسطين ومبدئياً كل أشكال الدعم.

قادت مصر تحالفاً جديداً من الدول العربية- يتألف من الأردن والعربية السعودية والإمارات ـ انحاز هذا الفريق إلى إسرائيل في حربها على حماس

وعّد سماحته في خطاب بمناسبة انتصار تموز/ آب 2014 للمقاومة الإسلامية في لبنان، (أن انتصار المقاومة في فلسطين هو انتصار للمقاومة في لبنان وخسارتها خسارة للمقاومة في لبنان)، وحيا الصمود البطولي الذي يبديه المقاومون الفلسطينيون في غزة، وعّد في مقابلة مع جريدة الأخبار اللبنانية أن العدو الصهيوني «انزلق» إلى هذه الحرب وما كان يريدها، وإن اتخذ حادثة المستوطنين ذريعة لعدوانه، وأسف لضعف الدعم العربي للمقاومة الفلسطينية، خاصة في مسألة رفع الحصار عن قطاع غزة. الجمهورية الإسلامية طلبت من سلطات جمهورية السماح بمرور شحنات من المساعدات لأهل القطاع، واتصل الفريق علي شامخاني بالقيادات الفلسطينية مؤيداً وداعماً باسم قيادة الجمهورية الإسلامية في إيران.

في المواقف العربية رأينا تأييداً شعبياً وسكوتاً رسمياً. وربما تكون «النيويورك تايمز»، الصحيفة الأميركية المقربة من اللوبي الصهيوني اطلعت على «أفئدة» بعض العرب. فقد كتب ديفيد كيركباتريك[13]، والعدوان الصهيوني على أشده على المدنيين في غزة، ما يلي: «في معركة الفلسطينيين في غزة منذ سنتين (عدوان 2012)، إسرائيل وجدت نفسها أمام ضغط غير ودي من جيرانها العرب لتنهي الحرب. ليس هذه المرة! بعد إخراج الحكومة الإسلامية في القاهرة السنة الماضية، إذ قادت مصر تحالفاً جديداً من الدول العربية ـ يتألف من الأردن والعربية السعودية والإمارات ـ انحاز هذا الفريق إلى إسرائيل في حربها على حماس، هذا ما ساهم ربما بعدم الوصول إلى وقف لإطلاق النار، حتى بعد ثلاثة أسابيع من نزيف الدماء. خوف وكره هذه الدول العربية للإسلام السياسي فاق حساسيتهم القوية من بنيامين نتنياهو. هذا ما قاله ديفيد آرون ميلر، الباحث في مركز ويلسون في واشنطن ومفاوض في شؤون الشرق الأوسط في عهود رئاسية متعددة.

(13) «نيويورك تايمز»، بتاريخ 30 ـ 7 ـ 2014.

عدة دول عربية تصمت على قتل وتدمير في غزة، وتتمنى الدمار لحماس، إنه سكوت الأخرس

(ينقل كيركباتريك عن ميلر قوله) لم أر في حياتي وضعا كهذا، إذ عدة دول عربية تصمت على قتل وتدمير في غزة،

دول أميركا اللاتينية وقفت موقفاً مشرفاً جداً من خلال تأييدها للمقاومة الفلسطينية وإدانتها للعدوان الصهيوني

وتتمنى الدمار لحماس، إنه سكوت الأخرس، وهذا مقال طويل معبر عن الوضع العربي، ربما تغيرت المواقف العربية بعد الصمود البطولي للمقاومة الفلسطينية كلها، وليس فقط حماس، وإن كانت الأقوى، فلسطين ليست ملكاً لفصيل، فلسطين كقضية لأهلها ومقاومتها وشعبها، ولكنها كثقافة وتاريخ وجغرافيا وقضية حرية هي قضية عربية، إسلامية، مسيحية، لأحرار العالم، على كل، أشار نتنياهو في إحدى مؤتمراته خلال الحرب إلى أن من حسنات هذه الحرب على العدو الصهيوني إنه اكتسب علاقة جيدة مع بعض الدول العربية.

دول أميركا اللاتينية وقفت موقفاً مشرفاً جداً من خلال تأييدها للمقاومة الفلسطينية وإدانتها للعدوان الصهيوني، حتى أن بعض هذه الدول قطع علاقاته بالعدو الصهيوني، رئيس الأكوادور، رافاييل كوريا ألغى زيارة كانت مقررة للكيان الغاصب احتجاجاً على العدوان والبربرية الصهيونية. الرئيس الكوري استدعى سفير بلاده في الكيان الصهيوني للتشاور وقال: (**إن قتل الأطفال والنساء أمر لا يمكن تبريره، وعلينا أن نستمر في التنديد بكل قوانا بهذه الإبادة**)، إيفو مورايس، الرئيس البوليفي الأكثر شعبية من بين رؤساء العالم، وضع الكيان الصهيوني على (لائحة الدول الإرهابية)، ووصفت رئيسة البرازيل ديلما روسيف الهجوم (الصهيوني) بأنه (مجزرة)، وندد رئيس فنزويلا نيكولا مادورو، خليفة الراحل تشافيز، (بحرب إبادة تشن منذ نصف قرن) ضد الشعب الفلسطيني، وقامت دول الأكوادور والبرازيل والبيرو وتشيلي والسلفادور وكوستاريكا والأرجنتين باستدعاء سفرائها لدى الكيان الصهيوني للتشاور.

وفي مواقف لشخصيات غربية عامة والمفوضية السامية لحقوق الإنسان وكتّاب نددوا بالعدوان الصهيوني ووصفوه بـ«النازية الجديدة»، نافي بيلاي، المفوضة السامية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، اعتبرت ان «إسرائيل» ارتكبت جرائم حرب في غزة.» يفيد وارد في الغارديان البريطانية قال: أنه لو كان في غزة لرمى صاروخاً على «إسرائيل» نتيجة لأفعالها الإجرامية، النائب في مجلس العموم البريطاني جيرالد كوفمان، أدان الغرب على تخاذله وشبّه الإرهاب الصهيوني بالإرهاب النازي.

يفيد وارد في الغارديان البريطانية قال: أنه لو كان في غزة لرمى صاروخاً على «إسرائيل» نتيجة لأفعالها الإجرامية

وسارت مظاهرات عارمة في عواصم العالم الغربي تنديداً بالعدوان الصهيوني على غزة. ونتيجة لحجم وتأثير هذه التظاهرات أصدر هدد وزير الداخلية الفرنسي، الصهيوني الهوى، برنار كازنوف بتوقيف كل الذين يهتفون بقتل اليهود أو يحرقون أعلاماً إسرائيلية خلال تظاهرات مؤيدة للفلسطينيين (إذاعة فرانس إنتر)، أيضاً الديمقراطيون في مجلس الشيوخ الأميركي تقدموا بمشروع قانون بمساعدة الكيان الغاصب ب 225 مليون دولاراً، لتعزيز منظومة الصواريخ الصهيونية (القبة الحديدية)، التي فشلت في اسقاط صواريخ المقاومة الفلسطينية.

خامساً: نتائج حرب الخمسين يوماً

على الرغم من الدمار الذي لحق بأبنية غزة وبيوتها، وعلى الرغم من المجازر التي طاولت عائلات بأكملها من أهل غزة الصابرين والصامدين والمحتسبين، والعدد الكبير من الشهداء والجرحى، إلا أن غزة انتصرت لأنها تقاتل آخر نازية في القرن الحادي والعشرين، وآخر احتلال في العالم. انتصرت المقاومة بأنها أضحت الخيار الوحيد أمام العرب والفلسطينيين لاسترجاع الحق السليب. وقد قام قادة المقاومة بالتأكيد على هذا الشعور والفعل العزيز والبطولي، الفصائل جميعها عقدت مؤتمراً صحافياً مشتركاً في غزة.

والدكتور رمضان عبدالله، الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي عّد الانتصار على أنه مقدمة للتحرير والعودة إلى فلسطين وعودة القدس الشريف، كذلك خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس عقد مؤتمراً صحفياً في قطر (الدوحة)، معتبراً أن نظرية التحرير بدأت من هذا الانتصار، جميعهم أجمعوا، بمن فيهم ما أشرنا إليه من كلام لمحمود عباس، على الوحدة والعمل المشترك من أجل تمتين العلاقة الفلسطينية ـ الفلسطينية كرمى لعيون فلسطين وشعبها. ويمكن تلخيص ما أنجزته المقاومة من خلال هذه التصريحات القيادية الفلسطينية بالتالي:

1 ـ نتيجة لخسائر العدو العسكرية وعدم قدرته على اقتحام أي موقع في غزة، سقطت مقولة «الجيش الذي لا يقهر»، التي كانت تقال عن جيش الاحتلال الصهيوني. وهذه المقولة اسقطتها المقاومة في لبنان قبل أكثر من عشر سنوات.

2 ـ أفشلت المقاومة نظرية قوة الردع الصهيوني، وكي الوعي الفلسطيني التي تحدث عنها موشية يعلون، عندما فشلت اسرائيل في تركيع غزة قبل عشر سنوات.

3 ـ تحطيم نظرية الأمن الصهيوني وفشل استخباراته.

4 ـ توازن الرعب من خلال قدرة المقاومة على الرد بالمثل، خاصة من خلال نقل المعركة إلى أرض العدو (إنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون).

5 ـ نظرا إلى الاخفاقات المتتالية للوساطات والمفاوضات من اجل الوصول إلى ما يسمى حلول سلمية، أثبتت المقاومة أنها اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو الصهيوني. فهو قام على مبدأ القوة ولا يفهم إلا هذا المنطق.

6 ـ عندما توجد الإرادة الحقة لا يستطيع أحد هزيمة شعب اغتصبت أرضه وشرد منها وفقد الوطن والهوية، لهذا فإن هذا الانتصار وضع الأمور الأساس الإرادي لحرب التحرير والحرية. الحق يؤخذ بالإرادة والقوة، هذا ما أثبتته مقاومة الشعب الفلسطيني في غزة.

7 ـ غزة أحيت فلسطين، وفلسطين الآن تسكن قلب الغزاويين وكل الفلسطينيين، هذه المعركة قربت العقل والعاطفة الفلسطينية من أرضهم ووطنهم.

8 ـ إبداع المقاومة من خلال العمليات القتالية والانفاق الاستراتيجية المعقدة، والتي عقدت عقل العدو وأعمته عن تنفيذ أهدافه العدوانية.